اللغة والمنهج في تأويل النصوص الدينية والتراثية عند غادامير

د. حنان علي عواضة
جامعة بغداد – كلية الآداب
قسم الفلسفة

الملخص :

يتضمن البحث دور غادامير في تطبيق الهرمنيوطيقا (التأويل) على النصوص التراثية أو التاريخية والدينية عن طريق اللغة .. وبيان الإمكانية المعرفية ، دون استخدام مناهج العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية .. للوصول إلى الهرمنيوطيقا أو " التأويل " لفهم النصوص فهماً دقيقاً وصحيحاً، مع الأخذ بنظر الاعتبار تطبيق " الحكم المسبق" الذي يعد عنصراً فعالاً في فهم النصوص ، لأنه يؤدّي إلى انخراط الوعي في سياق تاريخي تأويلي .

التمهيد : تعد مسألة الهرمنيوطيقا Hermeneutics (التأويل) للنصوص الدينية والتراثية أو التاريخية من العوامل الأساسية لفهم الأديان والتراث والاستفادة منهما . والمقصود هنا هو فهم النصوص عن طريق اللغة . وموضوعنا هو الهرمنيوطيقا عند الفيلسوف الألماني غادامير الذي قدم جهداً مهماً في ميدان التأويل المعاصر ، والذي انطلق من " الفهم " للتراث المتضمن اللاهوت والعلوم الإنسانية والعلوم بصفة عامة . واللغة هي " شكل " بطبيعة الحال وليست " مادة " ، لذلك فهي مصدراً أساسياً لعملية التأويل . والتأويل عنده يعتمد على " عملية الفهم " للوصول إلى المعرفة . إن التأويل لا يعني " إعادة إنتاج " عند جميع المفكرين في هذا الميدان ، بل التركيز على فهم النصوص التراثية والتاريخية على أساس " الفكر المعاصر للمؤوّل " إذ يعتمد على تفكيره الذي يعيشه لا من عصر الكاتب (صاحب النص) ... وإن من يقرأ نصوص أفلاطون Plato (٤٢٧– ٣١٧ ق.م) قبل ألفي عام – مثلاً – لا يشبه المعنى كما يفهمه إنسان القرن الحادي والعشرين .

التفكير الفلسفي (الهرمنيوطيقا) لا يعني تأسيس " مذهب فلسفي " ، وأنه ليس أحدى النظريات في الفلسفة .. إنما الهرمنيوطيقا هي أسلوب يخلو من " المذهبيّة " معتمدة على تفسير النصوص وأداتها " اللغة " . والجدير بالذكر ، أن غادامير كان قد رفض " المنهج " للوصول إلى المعرفة في العملية التأويلية ، ولم يتبع مناهج العلوم الطبيعية لمحاولة تطبيقها على العلوم الإنسانية . استخدم غادامير أسلوب " الفهم " والتطبيق ، واعتمد في ذلك على " الأحكام المسبقة " التي تتحكم بمعرفتنا للنصوص التي نريد أن نؤوّلها .. وأنه قد رفض –

كذلك – " موضوعية " ديكارت في المعرفة ، فالموضوعية – عنده – وهم من الأوهام في ميدان العلوم. على أية حال، فإن مشكلة التأويل للتراث اللغوي ليست مشكلة منهج أبداً ، بل هي مسألة "فهم". وسوف نتخذ المنهج المقارن والمنهج التاريخي بعرضنا لأفكار غادامير .

مفهوم التأويل :

التأويل ما كان له أن يحيا إلا من خلال تطور جديد إنه تطور فقه اللغة الكلاسيكي ، وتطور العلوم التاريخية في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع . فلقد أصبحت القضية الهرمنيوطيقية Hermeneutic مع شلايرماخر Schleirmacher (١٧٦٨-١٨٣٤) ودلتاي Dilthey (١٨٣٣- ١٩١١) قضية فلسفية .... ولقد كانت مشكلة تتمثل في إعطاء (علوم الروح)... صلاحية تقارن بصلاحية علوم الطبيعة ، وذلك في زمن الفلسفة الوضعية. [١] تعرّف الهرمنيوطيقا بأنها تأويل فلسفي تجاه الرموز الدينية والتراث Tradition والأساطير ، وتأويل لكافة العلوم الإنسانية وهي الشكل الجلي للفهم . [٢] كما أنها تعرّف بأنها نشاط فلسفي ، يقوم على التجربة الفكرية ، وهي حوار dialogue يشترك فيه المترجم أو المؤوّل مع صاحب النص . [٣] وقبل أن نعرض تعريف هانز . جورج . غادامير Hans George . Gadamer. (١٩٠٠-٢٠٠٢) للهرمنيوطيقا نعرض تعريف مارتن هيدجر Martin Hidegger (١٨٨٩- ١٩٧٦) الذي سبقه في ذلك بقوله : أن الهرمنيوطيقا عبارة عن دائرة تخفي وراءها إمكانية الوصول إلى المعرفة الأصيلة ، والتي تساعد التأويل بفرض نفسه كفضاء لما هو علمي ، وهذا يساعد أيضاً على التحرر من سيطرة المعرفة الشعبية ، والطابع العلمي للهرمنيوطيقا ، ويكون ذلك من خلال عالم الأشياء . [٤]

وعند غادامير ، أن صياغة دائرة الهرمنيوطيقا في المجتمعات الإنسانية تشكل العنصر الأساس في مجال صياغة الهرمنيوطيقا كبرادايم paradigm من خلال نقدها من الداخل كنظرية في أسس معينة . [٥] فالهرمنيوطيقا عنده فن للوصول إلى لغة مشتركة من أجل الفهم ، لكي يكون هناك انسجاماً بين الموضوعات. وهذا الفن نشاط جديد وممارسة ، هدفها الكشف عن قاعدة نموذجية ، كتبليغ رسالة إلهية ما ، أو صياغة أحكام شرعية . [٦] وهي من الأساسيات المهمة ضد إساءة استعمال المنهج ، ولكن هي أيضاً ليست ضد استعمال المنهج بشكل مطلق ، بل هي فن توظيف المناهج . [٧] وهناك نوعين من الهرمنيوطيقا : ١. **معيارية** : تستبعد الأحكام الاعتباطية الذاتية . ٢. **فلسفية** : تدعو إلى تفكير فلسفي ونقدي ، لجميع النصوص والأفكار المكتوبة ، كذلك تحدد وجودنا في هذا العالم التاريخي والأنطولوجي . [٨] وتعد الهرمنيوطيقا نشاطاً فلسفياً ذي فعالية قائمة على الجهد الذي تبذله الذات لتحصيل الحقيقة truth، وتخليصها من الوهم ، لذلك فالهرمنيوطيقا تجهز الفهم بقاعدة أنطولوجية ، ضمن ظروف تاريخيتها مع التقاط الكتابة مع المعنى .[٩]

فالهرمنيوطيقا هي ترميم وإصلاح وإعادة تجميع للنصوص التاريخية سواء أكانت لاهوتية أم أدبية ... الخ ، ولكن ليس هناك إعادة مطلقة للمعنى الحقيقي للنص ، لذلك لا بد من التفريق بين المعنى والحقيقة . [١٠] ولكن اختلفت الهرمنيوطيقا المعاصرة عن الهرمنيوطيقا القديمة (الكلاسيكية) ، " فالهرمنيوطيقا المعاصرة أصبحت قادرة على أن تشق طريقها لتقيم صرحاً يتخذ شكل نظرية فلسفية تنظر إلى التفسير باعتباره مطلباً وتوجهاً فكرياً ضرورياً في عصر يغلب عليه طابع التعقيد والاغتراب والغموض .. حتى أن غادامير ينعتها بوصفها موضة العصر" .[١١] وهي أعطت للمؤول دوراً أكبر عما كان علية دور المؤوّل في العصور السابقة . " ليس التفسير [الهرمنيوطيقا] عملية تصاعدية ننتقل فيها من الجهل إلى الفهم عبر توسيط النص ، كما أن عملية القراءة في كل أشكالها ، لا تعطينا نتيجة نهائية ، ما عدا الحالة التي نحيل بها كل شيء إلى الله ، بل تعطينا – أي القراءة – دوافع ومحفزات لا تنتهي نحو مزيد من التقصي والنقاش " . [١٢] يهدف التفكير الهرمنيوطيقي إلى الكشف عن حالات أو ظروف العلم من أجل الوصول إلى الحقيقة .. باعتباره مشروع لتوضيح الموضوعات المرتبطة بفكرة عامة لاكتساب المعرفة أو العلم . والمشروع العلمي يخدم المجتمعات الإنسانية وغيره ، وإنه قابل للتحقق Verifiable.[١٣]وما يقوم به الهرمنيوطيقي هو تأويل النصوص في التراث ... وإن قراءته للنص هي قراءة وتأويل للتراث الذي تشكل في التاريخ . وإن أي تأويل للتراث في التاريخ هو تأويل لتأويلات أخرى قدمت فهماً للنصوص التاريخية .. وما قدمه في التأويل هو تلاقي التراث بآراء وأفكار الحاضر وانصهارها بالماضي ، وذلك يمثل الحوار بين الماضي والحاضر . " إن الهرمنيوطيقا [تدور] حول الطرق الأساسية التي ندرك بها العالم ، وبها نفكر ونفهم . ذلك أن لها جذوراً فلسفية نسميها الابستمولوجيا ، تتعلق بكيفية مطلق المعرفة ، وكيفية التفكير في شرعنة ادعاءاتنا بمعرفة الحقيقة " . [١٤] وسيتبين لنا كيف كان غادامير يقوم بعملية التأويل ابتداءً من الفهم والتفسير والتطبيق ... ليصل إلى المعرفة من خلال النصوص التراثية . فالتطبيق applicationمرحلة هامة مثله مثل الفهم ، والأحكام المسبقة ، لسير عملية الهرمنيوطيقا بنجاح . لذلك نجد أن غادامير يعد التطبيق متضمناً في جميع أشكال الفهم الذي يشكله أي نص بين أيدينا ، فالفهم يؤكد على أنه نوع من الفاعلية . أما التطبيق فهو الجوهر الحقيقي لهذا الفهم. [١٥] لذا يظهر " التطبيق بعده التتمة المنطقية والطبيعية للفهم والتفسير. ويظهر بعده الوضعية الملموسة التي تربط بين النص والحاضر ، والتي تسمح لنا من ثم بفهم تاريخ تفسيرات نص معين باعتباره هذا التقاطع المستمر بين آفاق الماضي والحاضر " . [١٦]

دور اللغة في عملية الفهم للهرمنيوطيقا عند غادامير:

إذا ما أردنا أن نعرف اللغة ، فهي ظاهرة إنسانية ، واللغة منذ أرسطو Aristotle

(٣٢٢-٣٨٤ق.م) هي الضمان لمعرفة الحقيقة ، وهي تنوب عن العالم في تعبيره ، وذلك يكون عبر الرموز . والرمز في اللغة يخترق جميع الأبعاد المتعددة لفهم النص الهرمنيوطيقي . ففهم اللغة أساس لفهم العالم [١٧] إن اللغة تحمل في داخلها معاني وإمكانيات يتم اكتشافها وإبرازها . ومن المهم التأكيد على وجود غموض وبالتالي يمكن أن نلقي ضوءاً جديداً على موضوع الخطاب نفسه. وبهذه الطريقة يحدث تقدم في المعرفة Knowledge ، ومن خلال ما هو ضمني[١٨] . إن مجهود غادامير في الهرميوطيقا للتراث اللغوي يتمثل في قضايا التفكير الفلسفي من خلال نظريته في التأويل الذي تأثر في تجربته بهيدجر .. وبهذا فالتفكير الهرمنيوطيقي عنده يعد إنشاء فهم الوجود الذي يؤدي بنا إلى اللغة ، واللغة تحيلنا إلى مسألة الفهم . إن قراءة نص ما في لغة ما يختلف من قارئ إلى آخر ، وفقاً إلى ما يحمل كل واحد من أفكار وثقافة ... أما ما يسمى بالحمولة الفكرية أو المعارف المختلفة ، وهذا الأمر يؤدي إلى اختلاف القراءة للنصوص من عصر عن آخر ... وهو ما يشكل العلاقة بين الذات والمعرفة .. وهذا ما يطرح قضية الهرمنيوطيقا واختلاف قراءة من عصر لآخر . يرى غادامير أن اللغة لغز يتطلب الحل أو المعرفة لنصوصها ، بل أن اللغة من الألغاز العظيمة في التاريخ . لذلك صارت مصدراً أساسياً لعملية التأويل .. وعندما تتم إزالة العوائق أمام الفهم التاريخي أو التراثي ، فإن ذلك يسهل عملية الفهم . [١٩] وهي مصدر أساس لعملية التأويل (الهرمنيوطيقا)، فاللغة تساعد الإنسان على أن يقضي على فكرة أن لا يكون هناك أي عائق أمام الفهم للنص التاريخي أو التراثي . [٢٠] " اللغة ليست " وسيلة " يستخدمها الوعي المتميز " للتعبير " عن مواقفه ، إنما هي في الحقيقة ظاهرة نتكلمها ، وهذا يعني أننا لا نستطيع أبداً الخروج منها والوقوف أمامها ". [٢١] وإن الفكر يحول الوجود إلى لغة، واللغة هي سكن الوجود ولا يمكن البرهنة على شيء في هذا الوجود إلا في اللغة .[٢٢] إن للغة دور مهم في مجتمعاتنا الإنسانية ، وتعد الوسيلة الاتصالية المهيمنة بين الأفراد. [٢٣] وهي وسيلة تعبير عن وعي consciousness الإنسان بالعالم الخارجي . والعالم الخارجي يتجلى في اللغة . وهي تشير برموزها إلى كل ما موجود في العالم الذي نشعر به ، (العالم الواقعي) . إن أي فكر لا يمكن أن يحدد أو يقوم إلا عن طريق اللغة ، فحتى أفكارنا غير المنطوقة توضع في كلمات وجمل ، ومن خلال هذه اللغة يصبح التفكير عاماً وفي متناول الجميع ، وهذا عنصر مهم في وجودنا – في – العالم – . [٢٤]

واللغة هي " شكل " أي إنها مجموعة رموز ، بمعنى أنها ليست ذات محتوى معين . إنها وسيلة للتعبير عن العالم الخارجي أي عالم الأشياء بالدرجة الأولى والتعامل معه ... فاللغة تكوّن البنية المتميزة للواقع الإنساني . [٢٥] " إن نظرة غادامير إلى اللغة language، بما هي توسط بين الإنسان والوجود في تجربة الفهم / التفاهم ، يعد استكمالاً لمشروع النقد

الذي بدأه للنزعة العلمية التي هيمنت على العلوم الإنسانية ، فإن تخطي اللغة بهذه المكانة الأنطولوجية ، إنما هي دعوة إلى التفكير في علاقة اللغة / الكلمات بالأشياء " . [٢٦]

فاللغة التي يستعملها المؤول تعد أهم من الزمن الذي وجد فيه النص الذي نريد أن نؤوله، فاللغة تساعد على فهم العصر والحقبة التي ولد فيها النص ، سواء أكان نصاً لاهوتياً أو أدبياً أو غير ذلك . [٢٧] ونجد هيدجر – على سبيل المثال – يرى أن لغة الشعر أكثر اللغات توصيلاً من اللغة اليومية المستعملة . فالشاعر يعبّر عن الناس .[٢٨] وهي الأداة التي تساعد على فهم رأي الآخر ، مسموعاً أو مقروءاً ،.. وهي عنصراً أساسياً لفهم العالم .. فالتلاحم بين الفهم والتفسير أو التأويل للغة يؤدي إلى المرحلة الثالثة من عملية التأويل ألا وهو " التطبيق " . الهرمنيوطيقي.[٢٩] وهذا ما يؤكد عليه غادامير بشكل واضح عندما يحلل العملية التأويلية والحوار dialogue والتواصل مع الآخر إذ يقول : " رأينا أن اكتساب أفق للتأويل يستدعي صهر الأفاق . ويتأكد هذا الآن بالجانب اللغوي للتأويل . فالنص يكوّن ليتكلم من خلال التأويل ، ولكن لا نص ولا كتاب يتكلم إذا لم يتكلم لغة تواصل الآخر . " [٣٠] ويرى أن الرأي الذي ينبغي فهمه وتفسيره هو رأي الآخر ، لذلك لا تتم عملية الفهم وكشف دلالات النصوص إلا مع الآخر .. ورأي الآخر هو الأساس للبناء الداخلي للفهم .

إن فهم الماضي والحاضر لا يتحقق إلا داخل اللغة والحوار مع الآخر ، فهذا اللقاء بينهما هو استمرار حي للتراث ، فاللغة هي بيت الوجود الذي يسكن فيه الإنسان ، وهذا الإنسان هو الذي ينقل إلينا تراث الماضي ، فعلاقة الإنسان بالوجود والعالم ، هي علاقة ذات طابع لغوي . [٣١] إن المعاني في النصوص التراثية تكشف عن الحوار بين الماضي والحاضر ، وعموماً فإن علاقة الإنسان بالوجود أو الواقع هي علاقة لغوية قبل كل شيء . فاللغة – وفقاً لغادامير – هي التي تساعد الإنسان على إقامة الحوار والتفاهم في هذا العالم، فالإنسان حتى لو وصل إلى نهايته المحتومة في الوجود ، لا استمرارية لهذا الوجود في هذا العالم دون لغة ، وله قول مشهور وهو : " الطابع اللغوي لتجربة الإنسان بالعالم " .[٣٢] وكذلك له عبارة أخرى مهمة عن اللغة وهي : " الوجود الذي يمكن فهمه هو اللغة " . [٣٣]

ويرى " أن اللغة تتمتع بوجودها الحقيقي في الحوار فقط ، في بلوغها الفهم ... فبلوغ الفهم ليس مجرد فعل ، أو فاعلية غرضية ، أو إقامة العلامات التي من خلالها أرسل إرادتي إلى الآخرين ... فاللغة بطبيعتها لغة محادثة : فهي تحقق ذاتها تماماً فقط في عملية بلوغ الفهم . وهذا هو السبب في كونها ليست مجرد وسيلة في تلك العملية " .[٣٤] يتجلى في الشعر أيضاً وجود اللغة ، واللغة ليست في المقام الأول ، وسيلة اتصال ، وإنما هي أساساً ما يضمن إمكان الوجود في وسط انفتاح الموجود . [٣٥] وعند غادامير أن اللغة ليست اتصال فحسب إنما هي كشفاً للوجود ، هي تلك الوسيلة التي نكشف بها الوجود .. ولذلك

تعد وسيلة أساسية لوجود العالم .. ويصبح من الأساس أن يكون الإنسان سيداً عليها . إن " ماهية اللغة لا تنحسر في كونها وسيلة للفهم : بل أن تعريفها على هذا النحو لا يصل إلى ماهيتها الخاصة ، إنما يورد نتيجة من نتائج هذه الماهية . ليست اللغة مجرد آلة يملكها الإنسان إلى جانب كثير غيرها ، اللغة هي أولاً وعموماً ما يتضمن إمكان الوقوف وسط موجود منكشف "[٣٦] . وإذا قلنا أن اللغة تمثل العالم من خلال ترميزة ، لذلك أصبح فهم اللغة وسيلة لفهم العالم ، كما يجب فهم اللغة من أجل العالم ، فاللغة ليست لذاتها لكنها من أجل كشف العالم وفهمه ومعرفته. إن فلسفة غادامير الهرمنيوطيقية قائمة على اللغة والفهم ، لطالما عرفت على أنها هرمنيوطيقا قائمة على اللغة كعامل وجودي شامل يشمل جميع الأبعاد الوجودية وعلم الإنسان للكائن فعنده " الوجود الجدير بالفهم هو اللغة " . [٣٧]

إن الفهم عنده هو برمته تأويل ، والتأويل نفسه لا يحدث إلا وسط اللغة التي تسمح للموضوع أن يأتي بكلمات حتى لو كانت لغة المؤوّل نفسه . [٣٨] كما أن اللغة لها مكانتها أيضاً في العلوم الفيزيائية والرياضيات ، فاللغة طريقة تحاول إدراك الحقيقة وتفادي النقص وهي أداة بالنسبة للفيزياء . [٣٩] وبما أن الهرمنيوطيقا من العلوم الإنسانية ، وبما أن اللغة والفهم من أساسيات المعرفة الهرمنيوطيقا ، لذلك تعد اللغة والفهم من أساسيات العلوم الإنسانية أيضاً ، فهذا المثلث المهم : اللغة + الفهم + الهرمنيوطيقا يعد محور مهم في العلوم التراثية والتاريخية ، وكافة العلوم الإنسانية وحتى العلوم الطبيعية .

الاهتمام بلغة الفهم :

ليس هناك فهم دون لغة ، فالهرمنيوطيقا تدعو إلى يقظة الفهم الدائم تجاه المسألة اللغوية، لذلك اكتشف غادامير أن الحقيقة التي يتم اكتشافها من اللغة تكون عن طريق الهرمنيوطيقا . [٤٠] وللوصول إلى المعرفة من التراث أو اللغة التراثية دعا غادامير إلى : " **أولاً** – تخليص عملية الفهم من الطابع النفسي الذي وسمتها به رومانسية " دلتاي " و"شلايرماخر" . ويعني ذلك فصل النص عن ذهنية المؤلف وروح العصر الذي ينتمي إليه . **ثانياً** – تحويل الاهتمام إلى عملية الفهم والتركيز في التأويل على حيثيتها الخفية ، وفي بعدها التاريخي . وهذا المبدأ يختلف عن تصور " شلايرماخر " الذي ركز على وضع القواعد والمعايير standards التي تبعدنا عن سوء الفهم .[٤١] إن " اللغة أداتنا الأهم والأكثر فاعلية في التواصل مع الآخرين ، وذلك بالتعبير عما يدور في عقولنا من أفكار ، وما يعتمل في دواخلنا من انفعالات Emotions وتأملات ... [ولكن] اللغة من أخطر المقتنيات الإنسانية لكون مستخدميها من البشر قد ينحرفون بها .... عما يفترض أن تؤديه من وظائف تسهم في إزالة سوء التفاهم وتحقيق التواصل بين الناس " .[٤٢] ورأى غادامير أن الهرمنيوطيقا ارتبطت بشكل عميق باللغة لأن الإنسان لا يفهم إلا في مجال التكلم باللغة ،

وإن التأويل هو المرحلة المهمة اللغوية للفهم ، ولكن ليس بعد الفهم منهجاً متولداً من فقه اللغة ، فالفهم هو المحايثة الواعية للوجود لفهم العالم بدلاً من التقيد بالكتابة والنصوص . [٤٣] إن حالات اللغة عند غادامير متعددة فهناك لغة الحوار ، لغة الشعر ، لغة الفهم ، " يبدو أن بنية التأمل في اللغة ليست مجرّد إعادة إنتاج بسيطة لمعطى ثابت ، ولكن هي عملية مجيء إلى اللغة بوصفها المركز الذي منه يتم الإعلان عن مجمل المعنى . فالأشياء عندما ترحل من عوالمها وتدخل فضاء اللغة تصبح كائنات لغوية ، تردّ إلى بنية أنطولوجية كلية ، ويصبح الفهم بواسطة اللغة وضمنها ، والكائن الذي يمكن أن مفهوماً إنما هو اللغة " . [٤٤] ففي الماضي لم يكن من المستطاع تطويع اللغة للفهم ، إلا بطريقة التخلص من الجمود المنهجي لنحوها وسيميائياتها . وخصوصاً في الجانب الفني ، لأن دراسة التأويل في الفن ، وفي العلوم الإنسانية جميعها ، تقود إلى تعريف الإنسان كنشاط تأويلي والوجود كلغة . [٤٥] ويمكن عد فعل القراءة أو التفسير الشفهيOral Interpretation ليس سلبياً.. وكأنه يفسر قطعة موسيقيّة . أي يشبه محاولة " فهم " الرموز الموسيقية . وكذلك يشبه اللغة المكتوبة برموز الموسيقى .[٤٦] وهنا النصوص القديمة التراثية والتاريخية القابلة للتأويل – عنده – عبارة عن رموز كالموسيقى تتطلب التفسير والتأويل من أجل فهمها .

اتسمت الهرمنيوطيقا بأنها " فن تأويل وفهم النصوص باللعب على اللغة من خلال إيقاع المسآلة وحمل المسافة وتعليقها واختراق تعادل المعنى ذاته ، وهذا ما يسمح باكتشاف أبعاد جديدة للحقيقة، وتجهز التجربة الدينية اللغة التأويلية بأفق الانتظار الذي يتمحور حوله الإيمان...."[٤٧] فمشروع غادامير يقوم على الفهم ، ويقوم على اللغة أيضاً، وهو محاولة لإعادة الاعتبار والمكانة للغة بصفتها أشكال رمزية للعالم ، وطاقة إبداعية تحيط بالإنسان والوجود تشكيلاً وفهماً، فاللغة في الهرمنيوطيقا تعبر عن غائب ، عن متعدد ، عن دلالات بوصفها متعددة الوظائف التي لا تنتهي ، واللغة في حركة دائمة ، فهي لا تعطينا معنى ثابت ، بل عطاء لا تستنزف معانيها .[٤٨] كما أن الهرمنيوطيقا بحد ذاتها " لم تكن أبداً سكونية ، إذ أن الكيفية التي نقرأ بها النصوص ونفهمها هي متغيرة باستمرار ، تماماً كما يتغير فهمنا لأنفسنا " . [٤٩] وإن الذي يجعل الفهم ممكناًهو اللغة فهي الوسيط لذلك الفهم .. غير أن اللغة شيء تاريخي .. ولكن كيف يكون الفهم ممكناً ؟ والتأويلية نشاط فلسفي يحاول تفسير الفهم على أنه عملية أنطولوجية ، بعيداً عن التوجه المنهجي ... فهو لا يبحث عن صياغة مبادئ جديدة للتأويل . إنه يريد أن يظهر الفهم في خبرة الإنسان .[٥٠] وأكد غادامير في كتابه الحقيقة والمنهج truth and method على : " أن كل نص يطرح علينا مهمة ألا نترك استخدامنا اللغوي من دون تمحيص ... كما هو الحال في لغة أجنبية ، من كتّاب معينين أو من تعاملنا اليومي . فمهمتنا في الحقيقة هي أن نستمد فهمنا للنص من

الاستخدام اللغوي السائد في زمن النص ، أو من اللغة التي يستخدمها المؤلف " . [٥١] إن " عالمية التجربة الهرمنيوطيقية ... تعني أن مجال الفهم والهرمنيوطيقا ينطوي على الخصائص نفسها التي تتميز بها اللغة من شمول وعالمية ... . وليس من قبيل المصادفة أن تلجأ هرمنيوطيقا غادامير إلى المرحلة اللغوية ، بل كانت نتيجة طبيعية للتأثير الذي مارسه هيدجر المتأخر ، الذي انصب جل اهتماماته على اللغة والشعر ، وهذا ما تترجمه عبارته الشهيرة " اللغة مسكن الكائن " " . [٥٢]

دور المؤوّل في عملية فهم التراث :

يعد غادامير نفسه فيلسوف التّكوّن ، لذلك فهو يتساءل : ماذا يحدث عندما نؤول نصاً ما؟ فبعد خبرة طويلة مرّ بها من تأويل النصوص توصل إلى أن هناك عملية وساطة تضمن استمرار التواصل بين نظرتنا اللغوية للعالم ولغة النص الذي نريد تأوله .[٥٣] " والهرمنيوطيقي ... مترجم يجعل معارفه اللسانية ، الغامض قابلاً للفهم ، وذلك باستبدال الكلمة التي لم تعد مفهومة بكلمة أخرى تنتمي إلى الحالة اللغوية الخاصة بالقارئ الذي يترجم له هذا الهرمنيوطيقي ."[٥٤] ويمكن أن نسأل ما هي مهام المؤوّل Interpreter ؟ إن مهام المؤوّل تكمن في توضيح الغموض في كل مخطوط أو نص قديم بمعنى أن يبحث في التراث ، فهو مترجم يسهل عملية الفهم للنص ، ففهم النص تصاحبها عملية البحث عن المعنى المجازي ، والتأويل المجازي Figurative interpretation [٥٥] يساعد على تقليص الفجوة التي حصلت عبر التاريخ ، وهو يكمل المعنى الحرفي للنص . [٥٦]

ويقوم المؤول بالتركيز على النص التاريخي أو التراثي (الديني أو الأدبي) ، ومقابلة هذا التراث بالوعي الهرمنيوطيقي ... والأمر متعلق بالمدّة الزمنية .. ولا يجوز للمؤوّل أن يتجاهل هذه المدّة فهي تمثل اتصال حي بين عناصر تتجمع فتكوّن " التراث " ، فنحن نحصل من ماضينا المجتمع على ما يسمى " التراث " .. وفي هذه الحال يقوم المؤوّل بالارتداد إلى الزمان الماضي ويبدأ باستخدام أحكامه المسبقة فضلاً عن التفهم .

إن الهرمنيوطيقا تعد التاريخ أو التراث عامل أساس من مشروعها ، وهي تختلف عن الظاهرتية التي تتعامل بمنهجية ، وبمعرفة مباشرة للظاهرة الثابتة بعيداً عن العامل التاريخي أو المسافة الزمنية .. وغادامير يعود إلى المصادر الأصلية أي التاريخية للحصول على الفهم من خلال عملية الهرمنيوطيقا . والهرمنيوطيقا لا تكشف شيئاً جديداً بشكل جذري ، وإنما تكشف عما يكون المؤوّل ... قد حصل عليه من فهم للنص ... ككل ، وإن كان غير واع به ، حتى تتلاشى أداة التأويل الكلاسيكية ، ويبدأ بعد ذلك حواره وتساؤله مع النص . وهذا يعني أن حقيقة النص الأصلي ليست مطابقة لقصديّة المؤلف ، وليست مفروضة على النص المراد تأويله كما أنها ليست مفروضة على النص من قبل المؤول . إن

الحقيقة شاملة بالمعنى الأنطولوجي ، أي أن عناصر التأويل الثلاثة (المؤلف – النص – المؤول) تدخل الحقيقة ، وبعد ذلك الحقيقة تحيط بها من كل جانب ... . إنها هي التي تسعى إلى المفسر ، وليس هو الذي يسعى إليها . [٥٧] وهناك علاقة جدلية بين المؤوّل والنص ، فعلى المؤوّل أن ينفتح على النص ، وبعد تأويله لهذا النص ، يجب أن يكون النص بحالة جديدة غير الحالة التي كان عليها قبل أن يؤوله ، وهذه الخطوة ضرورية ، فالقراءة السابقة يجب أن تخلق قارئاً جديداً للقراءة القادمة وهكذا ... تكون القراءة للنصوص تحمل معنى جديداً مع كل تأويلة .[٥٨] " فالمفسر وفقاً لغادامير مبدع يشارك في تيار الصور والانطباعات التي يمكن للكاتب العظيم أن يلهمها دون أن يفرضها علينا . وتلك واحدة من المعجزات التي تصاحب اللغة والكتابة".[٥٩] والعملية الهرمنيوطيقية للمؤوّل تقوم على الفهم والتفسير والتطبيق عند غادامير .. وتعتمد على أسس معينة هي المسافة الزمنية للتراث ، وذلك للكشف عن الحقيقة .. والحقيقة عند غادامير نسبية دائماً فهو يدعو إلى مبدأ اللايقين ، إنه ضد فكرة المطلقية في هذا المجال . فدور المؤوّل دائماً هو تصحيح ما هو ناقص وغير واضح ، لذلك عليه الاتجاه إلى النص والاتحاد به، باعتباره نصاً سديداً من المنظور الفيلولوجي (علم اللغة المقارن) philology الذي يعالج بدوره الأشياء نفسها . [٦٠] كذلك إن لفهم النص يجب أن " يكون المؤوّل جاهزاً لأن يقول له النص شيئاً ما ، وهو بدوره جاهز لأن يقول للنص شيئاً ما من خلال ما يسمى بالوعي الهرمنيوطيقي الذي يجب أن ينفتح دفعة واحدة أمام غيرية النص " . [٦١] إن صعوبة فهم قصد صاحب النص يجعل من المؤوّل يتجه إلى النص لكي يسهل على القارئ فهم النص وتذليل الصعوبات ، وإجراءات المؤوّل خطوة مفيدة في فهم النص والذهاب بمعاينته إلى أبعد دلالاته الممكنة . إن قراءة وتفسير أي نص من جانب المؤوّل هما بعيدان ومنفصلان عن المؤلف ، وعن الأفكار التي كانت تجول في ذهنه ، وعن نواياه ومقصده ، ففهم النص يتخذ طابع إنتاج مستقل ، وغادامير يشبه ذلك بفن الخطيب من سلوك السامع . [٦٢] لذلك من غير الممكن أن نضع أنفسنا بين قوسين كما قرر هوسرل في منهجه ، لأن الهرمنيوطيقا تفترض الوعي ... عندما نقوم بكشف النص من خلال أفكارنا المسبقة ." صحيح أن المسافة الضرورية بين العصور والثقافات والطبقات والعرقيات وحتى الأشخاص هي عنصر عابر للذوات ينعش الفهم ويمنحه القوة والجهد الفكري ويمكننا أيضاً وصف هذه الظاهرة بقولنا أن المؤوّل والنص يمتلك كل واحد منهما "أفقه" الخاص وإن الفهم يمثل انصهار هذه الأفاق. البديهية الرئيسة للوساطة بين هذه المسافات هي اللغة التي ينتقل عبرها المؤوّل (أو المترجم) ما فهم واستوعب إلى التعبير ".[٦٣] إن الدور الفعال " للمؤوّل " في عملية فهم نص التراث أو التاريخ tradition or history من خلال تساؤلاته التي يطرحها ، تجعل مهمة

الهيرومنيوطيقا سهلة للوصول إلى لغة مشتركة ، وإلى فهم مشترك ، وإلى اتفاق مشترك بين الناس ، وبهذه الطريقة المؤوّلون يحققون نوع من الموضوعية في تأوليهم للنصوص ، وإضافة فاعلية لها . [٦٤] وكذلك أن تأويل أي نص يجب أن يتجنب الأوهام والقرارات الاعتباطية من قبل المؤوّل، فهو عندما يريد أن يفهم نص ما عليه أن يضع صيغة أولية كمشروع لمعنى النص . وهذا يحصل عدة مرات كمراجعة مستمرة للنص وهكذا .... . [٦٥] ولا يمكن للمؤوّل أبداً أن يضع ذاته جانباً خلال محاولته فهم النص وتأويله ، وهذه الاستحالة هي ما يجعل المعنى ناتجاً لمشاركة المؤوّل وتدخله الخاص في عملية الفهم . فالنص المكتوب على العموم يجعل الماضي معاصراً دائماً للحاضر.[٦٦] وإن فهم التراث يساعد على توسيع الأفق ، ويتطلب من المؤوّل " أفقاً تاريخية يستطيع إعادة وضعه مجدداً في أي وضع تأويلي راهن ، فهذا الأخير ، كما أوضحنا سلفاً ، يحدد بالأحكام المسبقة التي نحملها معنا " . [٦٧] فبين الماضي والحاضر توجد مسافة ، ودور المؤوّل هو ملئ هذه المسافة بوعيه وثقافته وما يمتلكه من أحكام مسبقة عن النص المؤوَل ، فالمؤوّل يجب أن ينتمي إلى تراث ما ، في منطقة " المابين " ، فمعنى النص يبقى يتردد بين الماضي والتراث ، فبين الماضي بوصفه موروثاً تاريخياً ، وبين التراث الذي يولد داخل العملية الهرمنيوطيقية للفهم ، فالدور الحقيقي الذي تلعبه الهرمنيوطيقا هو هذا الربط بين الماضي الموروث وبين الحاضر المبدع لتأويل النص.[٦٨]

رفض تطبيق منهج العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية .

جاء غادامير بمجموعة من الأدلة ليوضح لنا رفضه تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية the natural sciences methods on human sciences ومن بينها الهرمنيوطيقا . ومن بين هذه الأدلة أولاً : اختلاف المعرفة (الابستمولوجيا) في العلوم الإنسانية عن ابستمولوجيا العلوم الطبيعية، وسبب هذا الاختلاف هو الوقوف على خصائص الوعي لكل علم . وإن الوعي في العلوم الإنسانية واضح ، وخصوصاً في علم التاريخ . والسبب في هذا الوضوح هو أننا كبشر موجودون دائماً داخل التاريخ ، ونبذل مجهوداً كبيراً كي نفهمه . وهذا ما يميز العلوم الإنسانية عن باقي العلوم . [٦٩]

وترى العلوم الطبيعية أنه ما دام الإنسان يحتل مكاناً في التاريخ ، فإن العلوم الأخلاقية والدينية هي من ضمن العلوم الطبيعية ، ولكن غادامير يرفض هذا التصنيف ويعده خطأ فادح . وإنه قول غير واف لتاريخ البشرية ، وإن الكائنات الإنسانية وتراثها الديني والأدبي والفني ... لا يمكن أن يكون موضوع للملاحظة ، كما هو الحال في العلوم الطبيعية . فالعلوم الطبيعية ثابتة أما الإنسانية فلا . [٧٠] " وإن البحث في هذه العلوم لا يمكن إدراكه كشيء مقابل لموقفنا تجاه الماضي وكذوات لها حياة تاريخية بل عكس ذلك أن الحقيقة

تكمن في ذلك الانفتاح الذي يرسيه الماضي بالحاضر ومن خلال هذا الجسر يمكن أن نحقق مبتغانا المتمثل في الحقيقة . ومن هذا تبدأ فقط الحرية المنشودة من طرف المؤوّل ونتوقف عن كوننا ذوات تقليدية لتصبح التقاليد بمثابة نموذج يتحدى ومن خلاله يتم الاعتراف بذواتنا نفسها قبل الاعتراف بالذين انتجوها، ويصبح حكمنا معرفة كاملة لتكتف مع عضوية التقاليد " . [٧١] كما أن كل فهم ينطبق على كافة العلوم سواء أكانت إنسانية أو علوم طبيعية ، بل ينطبق على التجربة الإنسانية جميعها ، فالهرمنيوطيقا بهذا المعنى هي إنطولوجيا الفهم ، وهي إسلوب لوجود الدزاين في العالم .[٧٢] اللغة هي وسيطاً للتجربة التأويلية . رفض غادامير تطبيق المنهج على كافة العلوم الإنسانية سواء أكانت تاريخية أو تراثية، أو لاهوتية ، أو أدبية ... وإن الكثير من المعارف الإنسانية لا يمكن أن نكتسبها عن طريق المنهج. فالمنهج عبارة عن قواعد وقوانين ثابتة . [٧٣] وإن رفض غادامير تطبيق للمنهج في الهرمنيوطيقا ، فالعلوم الإنسانية لا تكشف شيئاً جديداً بشكل جذري للقارئ ، وإنما تكشف عن ما يفهم المؤوّل من خلال حواره وتساؤله من النص . [٧٤] يقول غادامير في كتابه الحقيقة والمنهج : " من المحال على العلوم الإنسانية أن تستعير منهاجية العلوم الطبيعية كما حدث في القرن التاسع عشر . بيد أن ما تشترك فيه العلوم الإنسانية مع العلوم الطبيعية هو فقط عنصر ثانوي للعمل المنجز في العلوم الإنسانية " . [٧٥] وعلى هذا لا يمكننا أن نعد العلوم الإنسانية قابلة لتطبيق مناهج العلوم الطبيعية ، وذلك لأن للعلوم الإنسانية خصوصيتها .. وهي تختلف عن العلوم الطبيعية ، لأن المناهج هنا تعطي نتائج ، لهذا لا تعد علوم الطبيعة نموذجاً للعلوم الإنسانية . كما أننا في العلوم الإنسانية لا نستطيع أن نتكلم عن الموضوع الذي نريد بالطريقة نفسها التي نتحدث بها عن العلوم الطبيعية ، فبحث هذه العلوم يكون بطريقة أعمق بكثير في الطبيعة نفسها ، أما في العلوم الإنسانية ، فلا يكون كذلك ، فالحاضر وما يشغلنا به هو الطاغي وخصوصاً عندما نقدم تساؤلاتنا الخاصة عن التراث . [٧٦] إن الهرمنيوطيقا عنده تنكر فكرة الحقيقة المطلقة ، ففي العلوم الإنسانية لا توجد حقيقة مطلقة ، ولا يوجد يقين مطلق ، لذلك فهو ينكر الحقيقة اليقينية التي لا تقبل الجدل والتأويل من خلال عمل منهجي . فالمنهج حسب غادامير ليس هو الوسيلة التي تقربنا من الحقيقة في كافة العلوم الإنسانية ." فطبقاً لديكارت [Descartes ١٥٩٦– ١٦٥٠] تفترض كلمة " المنهج " سلفاً أنه ليس هناك سوى منهج واحد يقود إلى الحقيقة، إذ يؤكد ديكارت في كتابه مقال في المنهج ... أن هناك منهجاً كلياً واحداً فقط لجميع موضوعات المعرفة الممكنة ، وحتى لو اعترفنا بأن ذلك المنهج يتسم بالمرونة من حيث إجرائياته ، فإن هذا المفهوم للمنهج قد أحرز اليد الطولى ، والهيمنة على الإبستمولوجيا الحديثة".[٧٧] كما أن غادامير رفض كل رأي في الفكر الغربي في العصر الحديث يتبنى هذا

الرأي ، ودعا إلى التحرر من المنهجية . فالعلوم الطبيعية يمكن أن نطبق عليها خطوات المنهج والانتهاء إلى صياغة قانون مطلق، لأن دراسة هكذا علوم تكون دراسة موضوعية مستقلة عن مشاعر الإنسان وعواطفه . [٧٨] وهذا الأمر الذي جاء بالهرمنيوطيقا عند هيدجر وغادامير وغيرهما استعانوا بالمفكر الظاهرتي " أدموند هوسرل " بدلاً من مناهج العلوم الطبيعية التي حاول بعضهم تطبيقها في العلوم الإنسانية .. والمعرفة في هذه العلوم تستند إلى الذات ، وبذلك فالهرمنيوطيقا تريد الكشف عن الذات التي تعتمد عليها " المعرفة " . انتقد غادامير أيضاً رأي فرنسيس بيكون F. Bacon (١٥٦١ – ١٦٢٦) في مسألة وصفه المنهج التجريبي ، إذ قال : يجب علينا التذكر دائماً أن بيكون لا يعني دائماً بالمنهج التجريبي الشيء نفسه ما يعنيه بالإجراء العلمي التقني الذي يساعد على تهيئة عملية الاستقراء بشكل مصطنع ضمن شروط محددة ، يمكننا فصلها في أي زمن ، ويجعلها قابلة للقياس.[٧٩] وإن اقتراحات بيكون "المنهاجية مخيبة للآمال . فنحن نراها اليوم غامضة وعامة ، لا تثمر سوى أشياء ضئيلة ، خصوصاً حين نطبقها على دراسة الطبيعة ... فهو متورط بعمق في التراث الميتافيزيقي وفي أشكال المحاججة الجدلية التي هاجمها " . [٨٠] أكد غادامير في مشروعه الهرمنيوطيقي على مسألة واحدة مهمة ألا وهي قوة الحقيقة الظاهرة في " الفهم " والابتعاد عن كل منهجية ويقينية مطلقة. [٨١] فجميع التجارب الاختبارية في العلوم الفيزيائية يجب أن تكون قابلة للتحقق ، أما في العلوم الإنسانية فتوجد صعوبة في ذلك ، لهذا يجب أن تكون قابلة للضبط أيضاً . لذلك لن يكون هناك مكان لتاريخية التجربة في العلم . [٨٢] ومن المستحيل تحقيق ذلك ، صحيح أن الفهم يخضع للفحص النظري بشكل أساسي ، إلا أنه لا يستطيع أن يمثل الدليل الدوغمائي (العقائدي) لفهم النص . ولا يمكن استخدام منهج العلوم الطبيعية على العلوم الإنسانية . " فالمنهج [في العلوم الإنسانية] لن يساعدني هنا على وضع نفسي في علاقة محددة بالآخر الذي كنت قد فرضته كموضوع . والنتيجة ... تكون مناقشة وحدة العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية مناقشة مضللة مادامت لا تنطلق من حقيقة أن وظائفها مختلفة اختلافاً أساسياً . فالعلوم الطبيعية تتوسل طريقة موضوعية ، بينما تتوسل العلوم الإنسانية سبل التشاور والحوار " .[٨٣] وإن الموضوعية لا تؤسس معنى في هذا النوع من الدراسة الإنسانية . وإن جميع اهتمامات العلوم الطبيعية تخبرنا فقط أنها عبارة عن تحقيق التقدم في المعرفة ، وبالتالي فهي تحقق السيطرة على الطبيعة وعلى المجتمع . [٨٤] إن دراسة غادامير هذه تبرهن على فشل الموضوعية في الإمساك بالمعرفة الإنسانية ، فالإنسان بوصفه كائناً تاريخياً متناهياً لا يمكن فهمه ، ولا يمكن تأويله بطريقة العلوم الطبيعية . فنحن كائنات خاضعة لتأثيرات نشاط التاريخ .[٨٥] إذا استخدمنا منهج في العلوم الإنسانية method ، فإنه سوف يؤدي فيما بعد إلى جمود في

الأفكار ، ولا يعود هناك تطور في الفهم للنصوص ، ولا يمكن تقديم أي حلول لمشاكلنا . وهذا " ما يميّز العلوم الإنسانية هو أنها لا تستخدم مناهج معروفة فقط ، بل تستخدم قدرة على الفهم كذلك ، تتطور لدى القارئ والباحث والمفكر ، وتتجاوز القدرات التي تكتسبها عقلياً ."[٨٦] فالحقيقة التأويلية لا تخضع للمناهج أو للمبادئ المنطقية الثابتة في التأويل ولا يمكن للمؤوّل أن يميّز بين تأويل صحيح وتأويل غير صحيح . فصاحب النص الأصلي (الكاتب) هو أفضل مؤوّل لنصه لأنه الشخص الوحيد الذي يمتلك المعنى الأصلي للحقيقة . [٨٧] " إن العلوم التجريبية تعتمد على الاستقراء المنطقي وتبحث عن قواعد وقوانين شاملة وثابتة بناءً على الملاحظة التجريبية . أما العلوم الإنسانية أو علوم الفكر فتعتمد على .... الاستقراء الفني ... [بهذا] تصبح العلوم الإنسانية بهذا المعنى ممارسة نقدية وشعور جوّاني ، بمعزل عن القواعد الصارمة والمناهج العقيمة . علمية العلوم الإنسانية تكمن في مفهوم " التكوين Building الفكري كممارسة وحذاقة " . [٨٨] فالهرمنيوطيقا نفسها ليست منهجاً ، ولا حتى هدفها الحصول على الحقيقة ، والذي يهمنا – وفقاً لغدامير – هو المعرفة . وأنه في اللغة لا يتم البرهنة على شيء . يقول غادامير في كتابه فلسفة التأويل : " نسعى في العلوم الإنسانية إلى التأكيد على أن الطريقة المثلى في تحليل النصوص (الفهم التاريخي والتراث المندمج والمتحدد) ليست الهدف الاسمي ولكن فكرة العلم تشمل أيضاً على قضايا ثابتة وتنطوي على الطبيعة الإنسانية غير القابلة للتغيير وأيضاً نتائج اكتشافات ومناهج علم الاجتماع والإنثروبولوجيا [علم الإنسان] ... هذا القلق الذي نستشعره إزاء العلم التاريخي معقول جداً واعتقد أن دور الفلسفة اليوم هو إيجاد أرضية مشتركة تضم جميع الاتجاهات والنزوعات المختلفة التي تتطور في أبحاثنا وتحقيقاتنا."[٨٩] إن غادامير يريد أن يؤسس تأويلاً غير قائم على الصفة المطلقة ، وبعيدة عن خطوات المنهج ، يريد معرفة تأويلية تتجاوز سيطرة المنهج ، تأويلية قائمة على الأحكام المسبقة [٩٠] والفهم . [٩١] لهذا لا يوجد باحث يحتل موقع الذات الملاحظة ، ولا يوجد منهج واحد يؤدي بنا إلى الحقيقة . في العلوم الإنسانية نريد منهج يتسم بالمرونة ، يهيمن على الإبستمولوجيا في القرن العشرين.[٩٢]

جميع النصوص ومنها الفن لا تتم بالمنهج ، بل باللعب على اللغة . لأن غادامير في الأصل يطرح مفاهيم مسبقة ، وعلى أساسها يتم التأويل . المنهج في العلوم الإنسانية يظل عاجزاً عن وصف تجربة إنسانية تاريخية ، أدبية ، فنية، لاهوتية ... ، فكلها تجارب يعجز العلم عن التثبت منها بالقوانين والأدوات المنهجية الثابتة.[٩٣] و" إن الكائنات الإنسانية لا يمكن أن تكون موضع ملاحظة ومن وجهة نظر باحث ، وإنه لمن المستحيل اختزال هذه الكائنات الإنسانية إلى مجرد موضوعات لنطرية التطور وفهمها من هذا المنظور " . [٩٤] ولكن في النهاية هل يرفض غادامير المنهج نهائياً ؟ إنه لم يرفض المنهج تماماً ، إنما

رفض المنهج فيما يتعلق بالعلوم الإنسانية ، فمثلاً في العلوم الطبيعية " ومنها الطبية " من الضروري إتباع منهجية ما وخطوات ما للوصول إلى نتيجة معينة لمعالجة بعض الأمراض ، للوصول إلى اكتشاف علاج لها . فغادامير يحترم المنهج ولا ينكره بشكل مطلق وهو نفسه في كتاب " الحقيقة والمنهج " استخدم المنهج الفينومينولوجي .

الحكم المسبق pre - judice:

إن الحكم المسبق (الوعي) conscience في تأويلية غادامير شرطاً أساسياً لإتمام عملية التأويل والفهم للتراث والنص اللاهوتي . وبموجب رأي غادامير أن كل تأويل لنص ما لابد من أن يحمل المؤوّل أفكار مسبقة حول النص الذي يريد أن يؤوّله ، ومن الاعتباطي أن نفهم النص تبعاً للمفهوم أو المعنى العام ... . والمفترض عندما نقرأ نصاً فإننا نهدف إلى " فهمه ". إن فهم أو معرفة معنى النصوص المقروءة لا تقتضي حيادياً موضوعياً ، بل يفترض الوعي أو التدخل لأحكامنا المسبقة ، لذلك يؤدي إلى ظهور النص بشكل مختلف . [٩٥] ففي أوروبا في " عصر الأنوار " كان الاعتقاد عند الفلاسفة والعلماء أن الأحكام المسبقة معيقة للتفكير ، لذلك كانوا يرفضونها في دراستهم ، ويدعون إلى التخلص منها ، لأنها تشكل عقبة في تحصيل المعرفة . أما غادامير فقد اختلف معهم ، ورأى أن للأحكام المسبقة وفهم النص ، أي نص ، دوراً مهماً وأساسياً لانطلاق المعرفة الهرمنيوطيقية ، وكافة العلوم الإنسانية . فأفكارنا المسبقة هي أساساً نابعة من التراث والتاريخ ، وهي الخطوة الأولى لفهم النص التاريخي. فالأحكام المسبقة تمثل عنصر أساسي لأي عملية ذهنية لا يمكن التخلي عنها . فالأحكام المسبقة عند غادامير تؤكد على أن الماضي يظل دائماً يؤثر على الحاضر والمستقبل . فالماضي (التراث) لكل مؤوّل هو مجموعة من الوقائع المرنة ، وهذه المرونة تعطينا القدرة على التأويل ومن ثم فهم النص .[٩٦] وهي تلعب دوراً مهماً في عملية تأويل النصوص، كما أن الفهم والأحكام المسبقة واللغة ، تعدّا حلقة متكاملة للوصول إلى النتيجة التي يهدف إليها المؤوّل . لذلك من الضروري إعادة الاعتبار لمفهوم الحكم المسبق الذي غاب في زمن عصر التنوير ، والاعتراف بجدية بوجوده ومشروعيته . ويمكن أن نسأل : ما أساس شرعية الأحكام المسبقة ؟ وما الذي يميزها عن غيرها من الأحكام المختلفة التي يطرحها العقل النقدي ؟ [٩٧] إن ديكارت مثلاً رفض الأحكام المسبقة ، وعدها أحكام ناتجة عن التسرع ، ومصدر كل خطأ في استخدام العقل وقوله هذا لا ينسجم مع مقولة أن التأويلية تحررت من جميع القيود الدوغمائية dogmatism (الجمود العقائدي) . [٩٨] إن الحكم المسبق عند غادامير يعتمد على الذات ... فالنصوص" التراثية " التي يجري تأويلها هي في الأساس ليست نصوصاً مستقلة ومطلقة في معانيها ، بل تأويلات في عمليات سابقة . و" إن هذه الأحكام المسبقة والتراث الناتج عن تراكمها لا يستحضر دلالة

واحدة ... نستطيع أن نمنحها لها . فهي ليست ، دائماً ، قول لا مبرر وغير صحيح ... تعمل على إخفاء الحقيقة وتزييفها فالأمر أشبه بالضرورة التاريخية وجودا ، فهي تجعل من وجودنا ممكناً ... على ذلك استطاع غادامير أن يوظف فكرة الفهم المسبق التراثي على أنه محركاً للفهم عبر الإنصات له والانتماء إلى فضاءه " . [٩٩] والحقيقة ليس هناك فهم نصي موضوعي يقوم به المؤوّل ، بل هناك تصور لنص مع فهم مسبق .. فالمؤوّل يفهم النص من خلال إدراكاته التاريخية وبما موجود في أفقه الذاتي هو من أفكار مسبقة . دون مرجع رأي خاص وبهذا أن المعنى لنص من النصوص لا ينتمي إلى الماضي المطلق ، ولا يمتلك معنى واضح ثابت كما جاء المعنى أو الفهم في الزمن الماضي بموجب النظرة الداخلية ، ولهذا لا يمكن النظر إلى النص نظرة موضوعية مستقلة عن وضعيتنا ومفاهيمنا ، فكل تأويل مرتبط " بالفهم المسبق" fore - understanding الخاص بنا ... فالهرمنيوطيقا هي عمل فهم غير موضوعي، بل ليس " إعادة إنتاج " preproduction ما جاء به النص في الزمن الماضي أو وقت كتب به .. وعدم إعطاء النص في عملية الفهم الوضع النفساني فضلاَ عن الموضوعية . وفي المقابل نجد هوسرل – وهو أستاذ غادامير – كان في منهجه الفينومينولوجي يستبعد الأحكام في عملية الفهم ، ويطالب بالتخلي عنها في أي ظاهرة نريد أن نأوّلها ونريد أن نفهمها كاملة . حتى لو كانت هذه الأحكام نابعة من الماضي أي التراث . [١٠٠] أما غادامير حاول أن يوفق في تأويليته بين العقل والسلطة الدينية . وكان يؤمن أن حكم مسبق غير ناضج يساعد على حركة التجديد في النص ، والتراجع عن بعض الحقائق التقليدية على حركة التجديد في النص ، والتراجع عن بعض الحقائق التقليدية التاريخية وهدمها كي تؤوّل من جديد . وهكذا .... فعملية التأويل لا تقف عند مكان معين ، ولا زمان معين ، ولا تقف عند مؤوّل واحد ، فهي عملية مستمرة ولكل زمن تأويله وفهمه .[١٠١]

لقد أعاد غادامير الاعتبار للأحكام المسبقة وللتراث باعتبارهما ضروريان للفهم . وعلى واستطاع تأسيس التفكير الفلسفي للهرمنيوطيقا .. وأعاد تأويل المعرفة تأويلاً جديداً . ورأى أن الفهم هو فهم عبر النص وانطلاقاً منه ، وهو إظهار رأي الآخر ، وذلك يتم عن طريق الأحكام المسبقة والابتعاد عن وهم " الموضوعية " . فهي استحضار للوعي ، وعي الموؤّل ، أثناء عملية الفهم ، فهي تمثل ربحاً فكرياً كبيراً من أجل البحث العالمي ، فالمؤوّل لا يقف موقف الحياد تجاه النص ، فالمؤوّل له دوره الكبير، في تجديد المعنى ، والكشف عن الحقيقة المخفية التي تواجه أحكامه المسبقة الخاصة به . فالمؤوّل وفقاً لغادامير من خلال فهمه للنص ، لم يحصل على وحدة المعنى داخل النص يلجأ إلى طرح " مفاهيم مسبقة حدسية " غير واضحة ، إلا أنه سوف يعوضها بمفاهيم أكثر وضوحاً ودقة وتكون " مفاهيم علمية " ، فالمؤوّل معرّض للكثير من الأخطاء سببها في البداية الآراء المسبقة ، ثم

العمل على اختبار الأشياء ، وهي من مهمة الفهم ، فالفهم يعطي شكلاً واضح البنية للأشياء ، فالمؤوّل ، هو الذي يؤسس للمعنى ، الذي يجب أن يطابق الواقع من خلال ما يفرضه من موضوعية تجاه الشيء المؤوّل . [١٠٢] وعلى هذا فان الأحكام المسبقة تعد أساساً لفهم النصوص عند غادامير ، لأن أي فهم للنص لا بد أن يعتمدها لأنها عنده أشبه بالحالة الفطرية في فكر الإنسان .

الفهم والهرمنيوطيقا: إن القصد الحقيقي للفهم عند غادامير هو : إننا عندما نقرأ نصاً ما ، فإننا نحاول أن نفهم المعنى له . لذلك لا يمكننا أن نكون على الحياد ، بمعنى أننا لا يمكن أن نصل إلى المعرفة بشكل موضوعي ، فليس ممكناً أن نضع أنفسنا بين قوسين . فالتأويلية لا تحتاج إلا للوعي والفهم والأحكام المسبقة . فهذه الخطوات في الهرمنيوطيقا تمنح النص إمكانية للظهور بشكل مختلف عما كان عليه قبل التأويل . [١٠٣] إن الفهم إعطاء " معنى جديد " للنص يختلف عن أي معنى سابق جاء به مؤوّل آخر . سواء أكان نصاً إنجيلياً أو أدبياً أو تراثياً . وهو ليس شكلاً خاصاً للعلاقة بالعالم بل هو أصل كينوني ، بل هو الكينونة نفسها للوجود في العالم . [١٠٤] " فالذي يريد أن يفهم أمراً ما فإنه لا يستسلم إلى مصادفات رأيه المسبق قصد مخالفة مقاصد النص بصورة منطقية وأحياناً متعنتة إلى درجة أنه يستحيل عليه أن يسمع (بوعي واهتمام) ما يقوله النص ويتعرض بذلك الفهم المفترض إلى اضطراب وبلبلة . فهم النص يقتضي الاستعداد للتعبير عن شيء ما عبّر عن هذا النص ... ينبغي أن ينتبه القارئ إلى تحيزه حتى يتمكن النص من الظهور في غيريته والحصول على إمكانية الكشف عن حقيقته المتوارية في مواجهة رأيه المسبق " [١٠٥] الفهم ، هو تطبيق الحقيقة التي كشفها في نص من النصوص التراثية .. والتوصل إلى استعمال المعنى لوضعنا الحالي ، وإيجاد أجوبة وحلول للمشاكل التي تعترضنا .وإن عملية التأويل وفهم النص عند غادامير ليس إعادة إنتاج ، بل هو محاولة لفهم ما كان يفكر به المؤلف . وكذلك فالفهم هو الاستفادة من النص وتقديم حلول لمشاكل عصرنا ، وإيجاد أجوبة لتساؤلنا ، وإن نشاط التاريخ هو الوجود الفاعل والفهم الذاتي للتاريخ . [١٠٦] وهذا يؤكّد على الدور الإيجابي الذي يلعبه المؤوّل ، ومدى الإبداع الذي يقدمه في تأويله . وكذلك نجده يؤكد على بناء السؤال من جديد لفهم معنى جديد للنص . والفهم الجديد هو ليس " إعادة إنتاج " – كما أشرنا – ومعنى ذلك أن المؤوّل للنص لا يقوم بالتفسير واستخراج المعنى نفسه بأسلوب آخر أو بألفاظ أخرى ، بل أنه يقدم معنى على ضوء ثقافة أو أفكار العصر الذي يعيشه ." الفهم هو فن ترجمة حقائق التراث وتطبيقها وصهرها في بوتقة القضايا الراهنة بإحياء دلالات مطموسة وبذور معرفية مغروسة وبعث أفكار من طي الكتب والنسيان ." [١٠٧] الفهم أسلوب وجود الإنسان نفسه ، ونشاط فلسفي أنطولوجي (علم الوجود) في الإنسان. لذلك " كانت

تأويلية غادمير لا تتأسى في الوعي الذاتي في الوجود ، في الطبيعة اللغوية للوجود الإنساني في العالم ، وبالتالي في الصبغة الأنطولوجيّة للحدث اللغوي ... " . [١٠٨] وغادامير يسمي الحدث Event من أجل " الفهم " الذي ينبثق من خلال ليس الكلام الشخصي ، بل من الكلام المشترك ، وأن أصل المحادثة ليس إنجازاً ذاتياً لواحد من المتحدثين . وهم لا يعالجون المسألة داخل النص ، وذلك لأنهم لا يستطيعون السيطرة عليها . [١٠٩] إن بنية الفهم التي تأسس عليها فن التأويل ينتمي إلى التراث ، " فالفهم هو المشاركة في القصد الجمعي من جهة ، ومن جهة أخرى ، تتطلب الوجهة الموضوعية لحلقة التأويل أن توصف بنمط آخر غير الوصف الذي قدمه شلايرماخر ، لأن ما نحن عليه من اشتراك مع التراث الذي ينتمي إليه هو الذي يحدد أفكارنا المتخيلة ويقود فهمنا . ... ويهدف التأويل إذن إلى إرجاع وإحلال الاتفاق وتسديد النقائص " . [١١٠] إن محور الممارسة التأويلية عند غادامير تتمثل في الفهم ، والفهم نفسه متجذراً في أعماق التاريخ السحيق . " إن التراث التاريخي والنظام الطبيعي للحياة لا تعمل على تشكيل وحدة العالم الذي نحيا فيه ككائنات إنسانية ، ولكن الطريقة التي من خلالها نقوم بالتجربة بعضنا لبعض ، تجربة التقاليد التاريخية ، وتجربة المعطيات الطبيعية لوجودنا وعالمنا ، كل هذا يكوّن حقاً فضاء هرمنيوطيقيا ". [١١١] وبهذا الفهم فن تفسيرالنصوص القديمة أو التراثية والفهم ومعرفة ما كان يفكر به مؤلف النص التراثي . وأنه يؤكد أن دراسة النصوص وما كان يفكر به المؤلف لا يعد إعادة انتاج ، وأنه ليس عملية تقديم الأفكار ، بل الفهم يعني إيجاد المعنى الذي ينتمي إلى عصر المؤول نفسه .

الفهم ، أنواعه وطبيعته : الفهم هو من طبيعة العمل الهرمنيوطيقي والخطوة الأهم من خطوات هذا العمل عند غادامير . وهو عبارة عن محادثة وحوار ومشاركة في المعنى بين الماضي والحاضر، هذا الحوار يشكل تفاعل ، والحوار يساعد على سبر أغوار العلاقة بين القارئ والنص.[١١٢] لذلك لا فهم خارج التأويل فالفهم في النهاية هو تطبيق ما . وهو نوعان عند غادامير هما : ١- الفهم الجوهري fundamental understanding : وهو الفهم العام لمعاني النص . ٢- الفهم القصدي intentionality understanding : أي ماهية معاني صاحب النص الأصلي .

إن الفهم هو إدراك الوضع النفسي والتاريخي لقضية ما .. لأن ما نفهمه ليس هو الحقيقة، إنما هو المعنى الذي يتم فهمه من خلال الظروف التاريخية عن طريق الفهم المسبق لقارئ النص. وعندما لا يأتي التأويل بالمعنى الحقيقي أو الجوهري ، فيتم اللجوء إلى الفهم القصدي .. وهو نوع من التساؤل عن مقاصد مفهوم النص .. لهذا يصبح الفهم إعادة تأسيس مقاصد المؤلف في ضوء حياته الفكرية . [١١٣] إن " الفهم هو إجراء وساطة بين

الحاضر والماضي وتطوير في الذات كل السلسلة المرتبطة بالمنظورات التي يحضر عبرها الماضي ويتوجه إلينا بالمعنى الرديكالي والشامل والأخذ بزمان الوعي التاريخي لا يعني التخلي عن النشاط الأبدي للفلسفة ، وإنما الطريقة المعطاة لنا لبلوغ الحقيقة المطلوبة " . [١١٤] إن الذي يوصلنا إلى الحقيقة هو العملية الهرمنيوطيقية التي تعتمد على الفهم والتأويل الذين يعدهما متشابهان أصلاً . فاللغة هي التي يكون فيها الفهم .. والفهم يبدأ بالتفسير وينتهي إليه، فمهمة الهرمنيوطيقا تهدف إلى الوصول إلى لغة مشتركة أي الوصول إلى الفهم . والفهم ليس مغلقاً أبداً ، وهو متواصل من أجل معرفتنا بالعالم . " إن الفهم اللاحق أسمى من الإنتاج الأصلي ، ويمكن أن يوصف من ثم بأنه فهم أسمى ، هو قول لا يعتمد كثيراً على الإدراك الواعي الذي يضع المؤوّل في مستوى المؤلف نفسه (كما قال شلايرماخر) . إنما هو يدل بدلاً من ذلك على اختلاف لا يمكن تذليله بين المؤوّل والمؤلف تخلقه المسافة التاريخية .إذ لا بد لكل عصر من أن يفهم نصاً منقولاً إليه بطريقة الخاصة ، لأن النص ينتمي إلى مجمل التراث الذي يثير انتباه العصر إليه ، ومن خلاله يسعى هذا العصر إلى فهم نفسه ." [١١٥] إن الفهم عند غادامير ليس إعادة إنتاج ، إنما هو إنتاج على الدوام ، ولا يمكن أن نصف هذا الإنتاج بتعبير " فهم أفضل " وغادامير يرفض هذا التعبير ، ويعده مستمد من عصر الأنوار، فالصحيح أننا نفهم بطريقة مختلفة ، هذا إذا كنا نريد الفهم لكل نص . [١١٦] فالفهم في الهرمنيوطيقا عنصر دائم التغيير ، فهو يتغيّر من مؤوّل إلى آخر ، ومن زمن إلى آخر فهو متجدد . فالعمل هنا يكتسب مزيداً من الوجود ، بسبب تفسيراته المختلفة ، هنا يكمن الإبداع في التأويل للنصوص . فعملية الفهم المتجددة تساعد على استمرارية الموضوع ، في حالة من التضخم ، تشبه كرة الثلج المتدحرجة . [١١٧] وإن اختلاف عملية الفهم من مؤوّل إلى آخر يجعل النص غير مستنفذ ، فكل نص يحتوي على عشرات المعاني والحقائق ، ولا توجد حقيقة واحد للنص منفردة أو ثابتة .[١١٨]

ولكن نجد لدى غادامير شكوكاً كبيرة " حول إمكانية فهمنا فهماً أفضل ممن سبقنا .. كما أن الفهم إنما هو جزء من التاريخ ، وكل فهم للتاريخ هو أيضاً تاريخي ، لذلك لا يمكننا ... أن ننساق وراء مقولات القطعية مع التراث ، وتاريخ النص وعدم اعتبار التراكم المعرفي الإنساني، كجزء من المؤثرات على الفهم والتأويل " . [١١٩] وعلى الرغم من هذه الشكوك يبقى الفهم عنده مشروع مستمر ، فهو يحوي داخله آفاق المستقبل . فنحن نعيش في حضارة تزعزع فيها التحديات التي نواجهها تجاه تراث الحقائق الذي يعتمد عليه فكرنا . ومن الواضح أن الحضارة التكنولوجية دخلت في طريق مسدود. [١٢٠] لذلك على الهرمنيوطيقا يجب أن تقدم شيئاً جديداً لمعارفنا ، وإن " عالمنا اليوم لم يحقق أي تقدم في سبيل الحوار ، لكن الحقيقة القاسية للمستقبل تجبرنا على الحوار . الحوار الحقيقي عند

غادامير هو الذي يتيح وحده التعرّف على الآخر . كما أنه يعلمنا كذلك أنه لا يمكن لأحد الطرفين أن يكون وحده محقاً في رأيه . [١٢١] إن كل محاولة لفهم العالم القديم من قبل المؤوّل معناه فهم كل ما يحتويه هذا العالم من قيم أخلاقية فهو يرتبط بشمولية الحياة والتجربة الإنسانية ، إن التاريخ ليس منطقاً خالصاً لما هو ظاهري ولا تغير خالص في مادته . [١٢٢] " إن الطبيعة الحوارية للإنسان مع غيره ، تتيح له تحقيق الفهم والتفاهم ... مع ذاته ومع الآخر ، تراثاً كان أو وجوداً ، وذلك من خلال تلك النصوص التي يعيد مساءلتها حواراً وتأويلاً ، لذلك يعد التفاهم ، من منظور غادامير ، تلك الغاية التي ينشدها الفهم ، فلا فهم بلا تفاهم ، ولا تفاهم بلا حوار " .[١٢٣] إن كل فهم لعالم النص التاريخي يحتوي ضمنه فهماً للوجود ، وتستدعي وضعية جديدة للوعي ، وذلك يكون من خلال فهمنا للنص . إن الفهم هو بمثابة وضعية معطاة ، وليس استدعاء لوضعية سابقة ، فالفهم دائم التغيير ، وأحياناً نجد مقابل الفهم اللافهم ، وهذا يؤكد أن الفهم ليس ثابتاً .[١٢٤] ص٣٥ عمارة ناصرة " فلا يبقى الفهم ، حينئذ ، مجرد قفز على أحداث الماضي أو تجاوزاً للمسافة الزمنية كما هو حال النزعة التاريخانية ، وإنما هو وسيط بين الماضي ، بوصفه حقيقة تاريخية ، والحاضر بما هو وعي لهذه الحقيقة ، ولا يتم ذلك إلا من خلال علاقة الفهم باللغة التي تعد الأصل الذي تتوالد منه المعرفة ، وتتناثر أشياء الوجود ، حقائق ووقائع ، وبها يتم تفعيل التراث وإعادة إنتاجه، او ما يسميه غادامير بـ " مبدأ الإنتاجية التاريخية " ... أو نشاط التاريخ ... والوصول من ثم ، إلى طرح قضية تأسيس هرمنيوطيقا تاريخية " .[١٢٥] وفي رأي غادامير أن التاريخ ليس " موضوعياً " وثابتاً ، بل يمكن الرجوع إليه لأنه معطى متغير . إن التاريخ واللغة هما أساس فهم أي عملية تأويل ، وفي المقابل إنه ينتقد التصور اللاتاريخي للتجربة التاريخية .. وهذا يذكرنا برأيه الذي يقول أنه لا يمكن اعتبار الحرب العالمية الثانية نسخة متشابهة تماماً لأحداث الحرب العالمية الأولى ، إنما الأمر التاريخي يتطلب تجربة خاصة في إدراك وفهم هذه الأحداث ، لأن المؤرّخ لا يعيش الأحداث التي تخضع للبحث لكنه يستعين بتجربة خاصة في إدراك وفهم هذه الأحداث التي وقعت في التاريخ . لذلك نجد أن الفهم يأخذ الوضع الراهن الآني ، لأنه لا يتضمن الاستيلاء على ما المقصود من المعنى فدائماً هناك قابلية للفهم بنمط وصورة جديدين ، معتمدين على بعض المبادئ الفطرية ، وبعض المفاهيم الخاصة بالتأويل ، يؤمّن إمكانية الفهم والتفكير .[١٢٦] فعملية الفهم هي : " عملية دائرية تلزم المراجعة والفحص المستمر ... إن معرفة القواعد والمناهج لا تكفي ... في تفادي الخطأ في تجربتنا الإنسانية ، لذلك يؤكد غادامير أن المعاني لا تفهم اعتباطاً ... كذلك لا نستطيع أن نتشبث بشكل أعمى بمعناها المسبق حول شيء ما ... فكل ما هو مطلوب منا هو أن نظل منفحتين على المعنى الذي ينقله الآخر " . [١٢٧] وقد عرفت الدائرة

الهرمنيوطيقية Hermeneutic " بالفكرة الدورية " التي تعنى بالعود الدوري ، يجعل الأشكالة تنحدر بعضها عن البعض ، وتمنح التواصل السابق في اللاحق .. بمعنى أن الدائرة الهرمنيوطيقية لا تعتمد المعرفة الفردية الواحدة ، إنما أنها أشبه بالدائرة المفرغة ، بمعنى يمكن تكرار معرفة النص التراثي في كل مرة جيل بعد جيل . وسبق لمارتن هيدجر أن رفض مهمة الدائرة الهرمنيوطيقية ، ولكنه أدرك فيما بعد أهميتها ، وأنها ضرورية ، وهذا العمل سوف يسميه الدائرة الهرمنيوطيقية . (١٢٨) كخلاصة لعملية الفهم في مجال الدائرة الهرمنيوطيقية، وعلى الرغم من كل هذه المعطيات الخاصة للفهم في هرمنيوطيقية غادامير يبقى السؤال كيف يكون الفهم ممكناً ؟ يرى غادامير للوصول إلى ذلك يجب استبعاد مجموعة من المعايير من العملية لعلم الهرمنيوطيقا :

١. القياس الموضوعي أو القاعدة المتواترة.
٢. رفض صفة المطلق ، والدقة والصرامة في العلوم الإنسانية .
٣. القطيعة مع التراث بما يحويه .
٤. استخدام المنهج في العلوم الإنسانية ، كما هو متبع في العلوم الطبيعية الدقيقة.
٥. وضع أنفسنا بين قوسين خلال العملية التأويلية .

الخاتمة : إن ما تركه القدماء من نصوص تراثية وتاريخية يوجد في اللغة ، واللغة تتطلب التأويل والتفسير من أجل الوصول إلى المعرفة . وكان غادامير من أبرز المفكرين المعاصرين الذين قاموا بمهمة التأويل ، وقد استخدم أسلوب معين في التأويل مستبعداً استخدامه للمنهج والموضوعية . والتأويل عنده يتضمن :

أولاً– عملية الفهم ، فقد برزت فكرة " الفهم " عندما خرجت الهرمنيوطيقا من الميدان التقليدي التأويلي إلى التأويل على أساس فلسفي . والمقصود بالفهم هو أن نتعلم شيئاً ما . أي الكشف عن بعض جوانب الحقيقة في اللغة من التراث والتاريخ .

ثانياً – الهرمنيوطيقا تهتم بالتراث ، لأن التراث تجربة إنسانية ، وذات سمة ليست غريبة عن إنسان عصرنا .

ثالثاً – إن كل خبراتنا في هذا العالم يمكن تفسيرها بوصفها حدثاً لغوياً ، بمعنى أن فهم العالم يتم عن طريق اللغة .

رابعاً – إن فهم النص عند غادامير لا يتم إلا " بالحكم المسبق " الذي يعد شرطاً أساسياً في " عملية الفهم " في الفلسفة الهرمنيوطيقية ، فهي الأساس في فهم النصوص .

يرى غادامير أن كل ما يأتينا من الماضي يتطلب منّا جهداً من أجل " الفهم " الذي نشعر بأننا في حاجة إليه .. وذلك يتم عن طريق التأويل الذي يكشف لنا معنى جديد ، ولا

يعد " إعادة إنتاج " أبداً ، بل التأويل يكشف لنا حقائق جديدة كانت غامضة من خلال العصر الذي يعيشه المؤوّل نفسه .

خامساً – لقد رفض غادامير النزعة المنهجية في تأويله للغة ، أي عدم إخضاع الموضوع المراد تأويله لأساليب منهجية ، كما هو معروف في العلوم الطبيعية ، ولم يتبنى فكرة " الموضوعية " التي تتبناها تلك العلوم كما جاءت عند بيكون وديكارت وغيرهما .

الهوامش :

١. بول ريكور : صراع التأويلات ،" درتسة هيرمنيوطيقية " ، ترجمة منذر عياش ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٥، ص ٣٥.

٢. تروين مصطفى : التأويل والعلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير ، كتاب (التأويل والترجمة مقاربات لآليات الفهم والتفسير) ، تأليف جماعي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، الجزائر ، ٢٠٠٩ ، ص ٩٧ .

٣. علي عبود : بقايا اللوغوس (دراسة معاصرة في تفكك المركزية العقلية الغربية) ، منشورات ضفاف ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٥، ص ١٠٨.

٤. تروين مصطفى : التأويل والعلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير ، ص١٠٢.

5. Josef Bleicher : the Hermeneutic imagination ,first published ,library of congress, Boston , USA, 1982 ,p137.

٦. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ، ط١، الدار العربية للعلوم، بيروت ، لبنان ، ٢٠١١، ص١١٦.

٧. ماهر عبد المحسن حسن : جادامير " مفهوم الوعي الجمالي في الهرمنيوطيقا الفلسفية ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ص ٦٤–٦٥.

٨. عامر عبد زيد : قراءات في الخطاب الهرمنيوطيقي ، دار الروافد الثقافية – ناشرون ، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٢ ، ص١٩.

٩. عمارة ناصر : اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية .....) ، الدار العربية للعلوم – ناشرون ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٧ ، ص١٩.

١٠. المرجع نفسه ، ص٣٩ .

١١. هشام معافة : التأويلية والفن عند هانز جورج غادامير ، منشورات الاختلاف ، الجزائر، ط١ ، ٢٠١٠ ، ص٢٠.

١٢. ديفيد جاسبر : مقدمة في الهرمنيوطيقا ، ترجمة وجيه قانصو ، منشورات الاختلاف، ط ١، ٢٠٠٧، الجزائر ، الجزائر ،ص٣٩.

13. Josef Bleicher : the Hermeneutic imagination ,first published ,p3.

١٤. ديفيد جاسبر : مقدمة في الهرمنيوطيقا ،ص١٧.

١٥. ماهر عبد المحسن حسن : جادامير " مفهوم الوعي الجمالي في الهرمنيوطيقا الفلسفية ، ص٧٩.

١٦. عبد الكريم شرفي : من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، ط ١، الجزائر٢٠٠٧، ص٢٣

١٧. عمارة ناصر : اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية .....) ، ص٥٤.
18. Brice. R . Wachterhauser : Hermeneutics and modern philosophy, published by state University of New York, Albany, 1986,p34.
١٩. غادامير : بداية الفلسفة ، ترجمة علي حاكم صالح ، حسن ناظم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢، ص١٢.
٢٠. تروين مصطفى : التأويل والعلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير ، ص ١٢٩.
٢١. غادامير : التلمذة الفلسفية ، ترجمة علي حاكم ، حسن ناظم ..... ، مقدمة المترجم الإنجليزي ، ط١ ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، طرابلس ، ليبيا ، ٢٠١٣، ص٢٩-٣٠.
٢٢. عمارة ناصر : اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية .....) ، ص٢٣.
٢٣. ترنس هوكز : البنيوية وعلم الإشارة ، ترجمة مجيد الماشطة ، دار الشؤون الثقافية ، ط١ ، بغداد العراق ، ١٩٨٦ ، ص١١٤.
٢٤. جون ماكوري : الوجودية ، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٦ ، ص ٢١٠.
٢٥. ترنس هوكز : البنيوية وعلم الإشارة ، ص٢٥.
٢٦. عبد الغني بارة : الهرمنيوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقلي تأويلي) ، الدار العربية للعلوم والنشر ، ط١ ، بيروت لبنان ، ٢٠٠٨ ، ص٣٢٢.
٢٧. تروين مصطفى : التأويل والعلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير ، ص١٠٤.
٢٨. إبراهيم أحمد : إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر ٢٠٠٦ ، ص٨٧.
٢٩. ماهر عبد المحسن حسن : جادامير " مفهوم الوعي الجمالي في الهرمنيوطيقا الفلسفية ، ص٧٩.
٣٠. غادامير : الحقيقة والمنهج ، ترجمة حسن ناظم ، وعلي حاكم صالح ، دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع ...، ط١، طرابلس ، ليبيا ، ٢٠٠٧، ص٥٢١.
٣١. عبد الغني بارة : الهرمنيوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقلي تأويلي) ، ص٣١٥.
٣٢. المرجع نفسه ، ص٣٣٠.
٣٣. هشام معافة : التأويلية والفن عند هانز جورج غادامير ، ص٢٧.
٣٤. غادامير : الحقيقة والمنهج ، ص٥٧٩-٥٨٠.
٣٥. إبراهيم أحمد : إشكالية الوجود والتقنية عند مارتن هيدجر ، ص٨٧.
٣٦. هيدجر : الفلسفة والشعر ، ترجمة عثمان أمين ، ط١ ، دار الثقافة العربية للطباعة ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٣، ص٨٥-٨٦.
٣٧. غادامير : فلسفة التأويل ، (الأصول . المبادئ . الأهداف) ،مقدمة المترجم ، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الجزائر ، ط٢ ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٧.
٣٨. غادامير : الحقيقة والمنهج ، ص ٥١١.
٣٩. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ،ص ١٢٥.
٤٠. المرجع نفسه ، ص٧٨.
٤١. المرجع نفسه ، ص٧٧- ٧٨.

٤٢. عامر عبد زيد : قراءات في الخطاب الهرمنيوطيقي ،ص٥١.

٤٣. عمارة ناصر : اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية .....) ،ص٦.

٤٤. عبد الغني بارة : الهرمنيوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقلي تأويلي) ، ص ٢٧٧.

٤٥. عمارة ناصر : اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية .....) ،ص٩٠.

46. Richard . E . Palmer : Hermeneutics Northwestern University press ,United of America , 1969,p16.

٤٧. عمارة ناصر : اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية .....) ،ص٧٥.

٤٨. عبد الغني بارة : الهرمنيوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقلي تأويلي)، ص٣٢٥.

٤٩. ديفيد جاسبر : مقدمة في الهرمنيوطيقا ، ص ٢٢.

٥٠. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ،ص٦٥-٦٦.

٥١. غادامير : الحقيقة والمنهج ، ص ٣٧٠-٣٧١.

٥٢. هشام معافة : التأويلية والفن عند هانز جورج غادامير ، ص٧٦.

٥٣. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ،ص٧٤.

٥٤. عبد الكريم شرفي : من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، ص٢٤.

٥٥. **التاويل المجازي** : أي التمييز بين ما يؤخذ من النصوص حرفياً وبين ما يتم تأويله مجازياً . وغالباً ما تكون التأويلات المجازية في العقيدة الدينية ، فيكون التأويل المجازي من معنيين : الأول – المعنى الظاهر . والثاني – المعنى الخفي أو الباطن . ويصبح للغة وظيفتان: الأولى – الوظيفة التعبيرية عن معنى النص . والوظيفة الثانية – هي وظيفة رمزية ، أي مجازية تبحث عما ترمز إليه ؟

٥٦. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ، ص١٨.

٥٧. ماهر عبد المحسن حسن : جادامير " مفهوم الوعي الجمالي في الهرمنيوطيقا الفلسفية ، ص٧٦.

٥٨. المرجع نفسه ، ص ٨٣.

٥٩. المرجع نفسه ، ص ٨٧.

٦٠. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ،ص٦٩.

٦١. نص مأخوذ من تروين مصطفى : التأويل والعلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير ، ص١٠٨.

٦٢. عبد الملك مرتاض : التأويلية بين المقدس والمدنس ، عدد ١ ، م ٢٩ ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠٠٦، ص٦٦.

٦٣. غادامير : فلسفة التأويل ، (الأصول . المبادئ . الأهداف) ، ص٨٧.

٦٤. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ،ص٩.

٦٥. هشام معافة : التأويلية والفن عند هانز جورج غادامير ، ص٨٥.

٦٦. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ، ص٢٩.

٦٧. عبد الغني بارة : الهرمنيوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقلي تأويلي)، ص٣٠١.

٦٨. المرجع نفسه ، ص ٣٠٥.

٦٩. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ، ص١٣٦.

٧٠. المرجع نفسه ، ١٣٧.

٧١. نص مأخوذ من تروين مصطفى : التأويل والعلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير ، ص١١٢.

٧٢. هشام معافة : التأويلية والفن عند هانز جورج غادامير ، ص٩٧.
٧٣. عباس الشارف : غادامير : هرمنيوطيقا العمل الفني وأزمة الأستطيقا ، التأويل والترجمة " مقاربات لآليات الفهم ةالتفسير ، تأليف جماعي ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الجزائر، ٢٠٠٩ ، ص٤٩.
٧٤. ماهر عبد المحسن حسن : جادامير " مفهوم الوعي الجمالي في الهرمنيوطيقا الفلسفية ، ص ٧٦.
٧٥. غادامير : الحقيقة والمنهج ، ص٣٩١.
٧٦. المصدر نفسه ، ص ٣٩١-٣٩٢.
٧٧. غادامير : بداية الفلسفة ، ترجمة علي حاكم ، حسن ناظم ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط٢، بيروت ، لبنان ، ٢٠١٣، ص٤٦-٤٧.
٧٨. عباس الشارف : غادامير : هرمنيوطيقا العمل الفني وأزمة الأستطيقا .....، ص٤٩.
٧٩. غادامير : الحقيقة والمنهج ، ص٤٦٧.
٨٠. المصدر نفسه ، والصفحة .
٨١. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ،ص ١٤٤.
٨٢. غادامير : الحقيقة والمنهج ، ص ٤٦٥.
٨٣. غادامير : بداية الفلسفة ، ص٤٨.
٨٤. المصدر نفسه ، والصفحة .
٨٥. عبد الغني بارة : الهرمنيوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقلي تأويلي)، ص ٢٩٦.
٨٦. فيليب مورجيه ، وجاك لوريدير : هانس جورج غادامير وسلطة الفلسفة ، مسارات ، ترجمة محمد ميلاد ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٤، ص١٦٦.
٨٧. عمارة ناصر : اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية .....) ، ص٣٢.
٨٨. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ، ص١٣٥-١٣٦.
٨٩. غادامير : فلسفة التأويل ، (الأصول . المبادئ . الأهداف) ، ص١٣٦.
٩٠. **الأحكام المسبقة** : أستخدم هذا المصطلح بشكل واضح في الفلسفة المعاصرة ، عند هوسرل وهيدجر وهذا ما يجعله ممكناً . إن الأحكام المسبقة لو لم تكن موجودة مسبقاً لاستحالت علينا المعرفة . (قاموس الفلسفة : ترجمة فرنسوا أيوب وآخرون ، مكتبة أنطوان، ط١ ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢ ، ص٣٩٤) .
٩١. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ، ص٦٣.
٩٢. المرجع نفسه ، ص١٣٧.
٩٣. هشام معافة : التأويلية والفن عند هانز جورج غادامير ، ص٣٠.
٩٤. غادامير : بداية الفلسفة ، ص٤٥.
٩٥. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ، ص ٣٩.
٩٦. عبد الكريم شرفي : من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، ص٤٧ .
٩٧. غادامير : الحقيقة والمنهج ، ص ٣٨٣.
٩٨. المصدر نفسه : ص ٣٨٤.
٩٩. علي عبود : بقايا اللوغوس (دراسة معاصرة في تفكك المركزية العقلية الغربية) ، ص١٠٤-١٠٥.
١٠٠. عبد الكريم شرفي : من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ، ص٥٠.

١٠١. تروين مصطفى : التأويل والعلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير ، ص١١٠.
١٠٢. المرجع نفسه : ص١٠٣.
١٠٣. غادامير : فلسفة التأويل ، (الأصول . المبادئ . الأهداف) ، ص٤٨.
١٠٤. فيليب مورجيه ، وجاك لوريدير : هانس جورج غادامير وسلطة الفلسفة ، مسارات ، ص١٦٦.
١٠٥. غادامير : فلسفة التأويل ، (الأصول . المبادئ . الأهداف) ، ص١٢٤-١٢٥.
١٠٦. المصدر نفسه ، مقدمة المترجم ، ص٢٣.
١٠٧. المصدر نفسة ، والصفحة .
١٠٨. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ، ص٦٨.
109. Brice. R . Wachterhauser : Hermeneutics and modern philosophy,p.36.
١١٠. غادامير : فلسفة التأويل ، (الأصول . المبادئ . الأهداف) ، ص٤٥.
١١١. نص مأخوذ من عبد الغني بارة : الهرمنيوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقلي تأويلي) ، ص٢٦٦.
١١٢. علي عبود : بقايا اللوغوس (دراسة معاصرة في تفكك المركزية العقلية الغربية) ، ص ١٠٨.
١١٣. عبد العزيز بو الشعير : غادامير ، من فهم الوجود إلى فهم الفهم ، ص٤٠.
١١٤. غادامير : فلسفة التأويل ، (الأصول . المبادئ . الأهداف) ، ص ٥٩.
١١٥. غادامير : الحقيقة والمنهج ، ص ٤٠٥.
١١٦. المصدر نفسه ، ص٤٠٦.
١١٧. ماهر عبد المحسن حسن : جادامير " مفهوم الوعي الجمالي في الهرمنيوطيقا الفلسفية ، ص ٧٣.
١١٨. المرجع نفسه ، ص ٨٦.
١١٩. ديفيد جاسبر : مقدمة في الهرمنيوطيقا ، ص ١٥١.
١٢٠. فيليب مورجيه ، وجاك لوريدير : هانس جورج غادامير وسلطة الفلسفة ، مسارات ، ص١٦٨.
١٢١. المرجع نفسه ، ص١٦٩.
١٢٢. تروين مصطفى : التأويل والعلوم الإنسانية عند جورج هانس غادامير ، ص١٣٣.
١٢٣. عبد الغني بارة : الهرمنيوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقلي تأويلي)، ص ٣١٨.
١٢٤. عمارة ناصر : اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية .....) ، ص٣٥.
١٢٥. عبد الغني بارة : الهرمنيوطيقا والفلسفة (نحو مشروع عقلي تأويلي)، ص ٢٧٢.
١٢٦. عمارة ناصر : اللغة والتأويل (مقاربات في الهرمنيوطيقا الغربية .....) ، ص٣٦.
١٢٧. علي عبود : بقايا اللوغوس (دراسة معاصرة في تفكك المركزية العقلية الغربية) ، ص ١٠٤.
128. Paul Gorner: Heidegger's (being and time an introduction) , first published, canbridge University press , United Kingdom, 2009,p.22.

Language and Method in Hermeneutics religious and traditional When Gadamer

Dr. Hanan Ali Awada

University of Baghdad / College of art / Department of philosophy

The research includes the role of Gadamer in the application of Hermeneutics to traditional or historical and religious texts through language, and to demonstrate the possibility of knowledge without using the natural sciences methods on human sciences to reach the Hermeneutics or "interpretation" to understand the texts accurately and correctly, "Pre - judice", which is an effective element in the understanding of texts, because it leads to the integration of consciousness in a historical and theological context.